

هاشم صالح وإشكالية التنوير في العالم العربي.

Hashem Saleh and the problem of enlightenment in the arab world

Hashem Saleh et le problème des Lumières dans le monde arabe

سمراء بجوح¹، فارح مسرهي²

تاريخ النشر: 2025/12/31

تاريخ القبول: 2025/12/05

تاريخ الإرسال: 2025/10/01

ملخص:

من المؤكد وتزامنا مع التطور الحاصل في المجتمعات الغربية وما وصلت إليه من حضارة ورقية يعود في أساسه إلى عصر الأنوار الذي أخرج أوروبا من حالة ظلامية انغلاقية إلى حالة من التحضر والتمدن، فإن المجتمعات العربية في مقابله تعاني أزمة حضارية يكسوها التخلف والرجعية والقصور العقلي .

وهذا الوضع أصبح هاجسا فكريا لكل مفكر عربي يسعى إلى التحديث والتطوير والتنوير، لذلك عمل هاشم صالح على مدى أكثر من ثلاثة عقود على دراسة الوضع العربي من أجل تشخيص مكامن الخلل والبحث في الظواهر والأسباب المؤدية إلى هذا التخلف الحضاري والا سنداد التاريخي والانغلاق الفكري لأجل تحقيق مشروع التنوير العربي.

الكلمات المفتاحية: التنوير؛ التراث؛ الانسداد تاريخي؛ هاشم صالح؛ الأصولية.

Abstract :

Certainly, and in conjunction with the development taking place in Western societies and the civilization and progress they have achieved, which is essentially due to the Age of Enlightenment that brought Europe out of a state of darkness and isolation to a state of civilization and urbanization, Arab societies, in contrast, are suffering from a civilizational crisis characterized by backwardness, reactionism, and mental deficiency.

This situation has become an intellectual obsession for every Arab thinker seeking modernization, development, and enlightenment. Therefore, Hashem Saleh has worked for more than three decades to study the Arab situation in order to diagnose the sources of the defect and to research the phenomena and causes leading to this civilizational backwardness, historical support, and intellectual isolation in order to achieve the Arab Enlightenment project.

Keywords: Enlightenment ; Heritage ; Historical Obstruction ; Hashem Saleh ; Fundamentalism

Résumé : Certes, parallèlement au développement des sociétés occidentales et à la civilisation et au progrès qu'elles ont atteints, qui remontent essentiellement au Siècle des Lumières, qui a sorti l'Europe d'un état d'obscurité et d'isolement vers un état de civilisation et d'urbanité, les sociétés

*المؤلف المراسل .

¹ Samra bahouh, alhaje lakhder batna1 university , samra.bahouh@univ-batna.dz

² Fareh messerehi, alhaje lakhder batna1 university, fareh.messerehi@univ-batna.dz

arabes, au contraire, souffrent d'une crise civilisationnelle caractérisée par le retard, le réactionnisme et la déficience mentale.

Cette situation est devenue une obsession intellectuelle pour tout penseur arabe en quête de modernisation, de développement et d'illumination. Hashem Saleh a donc consacré plus de trois décennies à étudier la situation arabe afin d'en diagnostiquer les sources et d'analyser les phénomènes et les causes conduisant à ce retard culturel, à ce manque de soutien historique et à cet isolement intellectuel, afin de réaliser le projet des Lumières arabes.

Mots clés : Lumières ; héritage ; blocage historique ; Hashem Saleh ; fondamentalisme.

مقدمة :

يُعد التنوير ظاهرة فكرية وفلسفية كبرى عاشها الغرب الأوروبي منذ القرن السابع عشر، حيث مثلت نقطة تحوّل حاسمة في مسار الفكر الإنساني، إذ نقلت أوروبا من عصور الظلام وسيطرة اللاهوت والكنيسة إلى عصور العقل والحرية. وقد تجسّد هذا التحول في ما يُعرف بـ "عصر الأنوار" الذي تبلورت فيه مبادئ جديدة للمعرفة والسياسة والأخلاق والعلم، والتي تقوم على تحرير الإنسان من الخرافة والوصاية والإعلاء من شأن العقل باعتباره المرجعية الأولى لتأسيس العقلانية والنقد الذاتي، وفتح الباب أمام قيام الدولة الحديثة، والمجتمع المدني، وحقوق الإنسان. وقد مهّد لهذا العصر العديد من الفلاسفة أمثال كانط، فولتير، ديدرو، وروسو... مؤكدين أن تحرّر الإنسان لا يتحقق إلا من خلال المعرفة واستخدام العقل دون خوف أو تبعية إرساءً منهم لقيم الحرية والمساواة والتسامح.

هذا التحوّل العميق الذي عرفته أوروبا امتدت آثاره إلى بقية العالم وخاصة إلى العالم العربي والإسلامي، الذي وجد نفسه في مطلع القرن التاسع عشر أمام صدمة حضارية كبرى خاصة إبان حملة نابليون على مصر (1798-1801). إذ كشفت هذه المواجهة المباشرة مع الغرب عن الهوة الواسعة بين واقعٍ عربيٍّ يعاني الجمود والتقليد والتخلف، وواقعٍ أوروبي متقدّم في مجالات الفكر والعلم. ومن هنا بدأ سؤال النهضة يطرح نفسه بإلحاح داخل الفكر العربي، ما أدى إلى ظهور مشاريع إصلاحية ونحوضية منذ القرن التاسع عشر مع رفاة الطهطاوي، وخير الدين التونسي، ومحمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم، الذين سعوا إلى إدخال قيم العقلانية والعلم والمدنية إلى المجتمعات العربية، معتبرين أن النهضة لا تتحقق إلا بإصلاح الفكر والدين والتعليم.

لكن مع تطور الوعي العربي في القرن العشرين تحوّل التنوير من مجرد دعوة إصلاحية إلى مشروع فكري نقدي يتجاوز الإصلاح السطحي نحو مساءلة البنية العميقة للعقل العربي والتراث الإسلامي. وهكذا ظهرت مشاريع فكرية كبرى مع محمد عابد الجابري في نقد العقل العربي، ومحمد أركون في نقد العقل الإسلامي، ثم بعده مترجمه هاشم صالح الذي واصل هذا المسار التنويري في الفكر العربي الإسلامي، وذلك لحمله بعداً ابستمولوجيا ومعرفيا وأخلاقيا يرفض الظلمات والجهل ويستهدف تحرير العقل العربي من هذه الأصوليات والانغلاقات التي تقف وبتق الأنوار في العالم العربي.

وذلك عبر معرفة جديدة متحررة تعيد تأسيس العلاقة بين الدين والعقل والمعرفة،

وهذا ما يدفعنا إلى طرح تساؤلات تبحث في عمق الخلل الحضاري والسكون النهضوي للتنوير العربي في مجتمعاتنا العربية وهي :

- كيف شخص هاشم صالح أزمة العالم العربي في ضوء غياب مشروع تنويري حقيقي؟ وماهي إمكانات التأسيس لتنوير عربي يهدف لفك حالة الانغلاق والانسداد الفكري التي يعيشها العالم العربي؟

1- معنى التنوير :

على غرار المنحى اللغوي يعد مصطلح التنوير أو الأنوار مصطلحا فكريا وفلسفيا يعتد بالعقل ويأخذ منه قيمه وأساسه ومبادئه لأجل تفسير الكون وإدراك قوانينه... غير أن بدايته كانت موضوع خلاف بين المؤرخين ف "يول أزال" في كتابه (أزمة الضمير العربي) يرد التنوير إلى النصف الثاني من القرن السابع عشر، أما "بيتر جرای" في كتابه (التنوير) فيرده إلى الفكر اليوناني ولا أدل على رأيه من قول ديدرو: طاليس هو أول من أدخل المنهج العلمي في الفلسفة، وكل من جاء بعده اتجه الى العقل ناقدا له، ثم إن فلاسفة اليونان قد استنبطوا الأخلاق من طبيعة الإنسان، وليس من طبيعة الله، ومع ذلك فالرأي الشائع هو أن القرن الثامن عشر هو عصر التنوير (وهبة، 2007، صفحة 219).

ويقول ميشيل فوكو (1984/1926) "سؤال لم تكن الفلسفة الحديثة قادرة عن الإجابة عنه بل لم تستطع قط التخلص منه، وها هي الآن ومنذ قرنين من الزمان تعيده وتكرره بأشكال مختلفة (...). ما هو الحدث الذي يسمونه الأنوار " (فوكو، صفحة 249).

انطلاقا من هذا القول نلمس وجود اختلاف بين المفكرين والفلاسفة حول إعطاء تعريف محدد لمفهوم الأنوار حيث

نجد أن التنوير أو الأنوار في اللغة الفرنسية *les lumieres* وفي الإنجليزية *Emllghtement* وفي الألمانية *Aufklarung*. وهو اتجاه ثقافي ساد أوروبا الغربية في القرن الثامن عشر بتأثير طبقة من المثقفين المتفلسفين وكانوا صحفيين وكتابا ورواد

صالونات أدبية مثل: فولتير، ديدرو، بيكاريا وقد أخذوا عن الفلاسفة العقلانيين أمثال: ديكارت، سينوزا، لوك... الذين طبعوا القرن السابع والثامن عشر بطابعهم الثقافي حتى أطلق على هذه الفترة اسم عصر العقل **the age of reason** (الحفني، صفحة 40).

أما أندريه لالاند فيعرفه بقوله: "حركة فلسفية في القرن الثامن عشر متميزة بفكرة التقدم وبتحدي التقليد والسلطة وبالإيمان بالعقل، والأثار التهذيبية للتعليم وبال دعوة إلى التفكير وإلى الحكم ذاتيا على الأمور" (لالاند، 2001، صفحة 790) وعليه فإن التنوير حركة عقلية أوروبية جعلت من العقل الوجود الحقيقي للإنسان حيث سعت إلى تحريره من الوصايا الكنيسة والنزاعات الغيبية والخرافات التي قضت على التفكير والتقدم لذا دعت إلى التسامح وآمنت بتقدم الإنسانية عن طريق تشكيل الحياة على أسس طبيعية ووفق نظام من القيم جذوره مغروسة في العقلانية .

ومن أشهر التعاريف كذلك لمصطلح التنوير خاصة في الفكر الأوروبي هو تعريف إيمانويل كانط (1804/1724) من خلال مقالته المعنونة ب: " جواب عن سؤال ما التنوير؟ " سنة 1784 إذ يقول: " الأنوار هو خروج الإنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه، والذي يعني عجزه عن استعمال عقله دون إرشاد الغير، وإنّ الفرد نفسه مسؤول عن حالة القصور هذ عندما يكون السبب في ذلك ليس نقصا في العقل بل نقصا في الحزم والشجاعة في استعماله دون إرشاد الغير، تجرأ على أن تعرف) " **sapere aude** (كانط، 2005، صفحة 85).

فالأنوار حسب كانط تعني الخروج من وضع القصور إلى وضع الرشد الفكري والاكتفاء بسلطان العقل واستعماله بكل حرية وجرأة كاملة، فهذا يخلصه من تبعيته الفكرية ووصاية الآخرين عليه، على اختلاف نوع الوصاية سواء كانت دينية أو اجتماعية، لذا يشدد على أن هذا القصور لا يعود إلى نقص في العقل أو الذكاء، بل يعود إلى الخوف وغياب الجرأة والشجاعة، وعليه كان شعار التنوير هو " كن شجاعاً في استخدام عقلك " (كانط، 2005، صفحة 85)

وهذه دعوة صريحة من كانط إلى ضرورة استخدام العقل بكل جرأة وشجاعة واستقلالية، واعتباره العملية والركيزة الأساسية للخروج من حالة الجهل والخرافة وتحقيق الأنوار وذلك عن طريق التحرير من أشكال التسلط وخاصة الكهنوتية منها وبالتالي الوصول إلى الحقيقة. هذه الأخيرة التي تعد مطمحا يراود الوصول إليه في كل زمان ومكان.

و بهذا أصبحت فلسفة الأنوار القاعدة الأساسية للذهن الغربي والنموذج الذي حاولت بقية الشعوب الاقتداء به وخاصة الشعوب العربية التي عملت على تهيئة كل المسببات لخلق عصر أنوار عربي بعدما اكتسحت ساحتهم الخمول والجمود والتخلف والتطرف والانغلاقية.

2- الإرهاصات الأولى لعقل التنوير العربي

لا يمكن الحديث عن بواكر التنوير في العالم العربي دون العودة والمقارنة مع العالم الغربي المتطور الذي عاش منعرجًا حاسمًا غير مجرى القارة الأوروبية ونقلها من مرحلة ظلامية دامسة أفل فيها العلم والتقدم والتطور وحل محلها الجهل والظلم والجور، لكن مع بداية القرن السادس عشر عرفت أوروبا عصر أنوار مس جميع المناحي الحياتية وسمح للعقل أن يحتل الصدارة والقداسة، وهذا العقل عمل على إبعاد المؤسسة الدينية عن الممارسة السياسية مما مكن من تقديم تفسير جديد للدين، يستند على أسس عقلانية إنسانية مستنيرة.

غير أن الحضارة العربية الإسلامية كانت السبابة إلى النهضة والتطور، وما التاريخ الا شاهد على ذلك سواء من الناحية الفلسفية أو حتى التجريبية (صالح، 2007، صفحة 138) لذلك سوف نستعرض في ذكر بعض النماذج التي حملت الارهاصات الأولى للتنوير العربي:

تشكل جماعة إخوان الصفا إرثًا كبيراً في التراث العربي الاسلامي نظرًا للأهداف والغايات والأفكار التي حملتها ودونتها في مسائلها الأربعة التي تعد جزءاً مهماً في موروثنا العربي الإسلامي فلسفياً وأدبياً وعلمياً، حيث قدموا أكبر موسوعة تشتمل على أهم القضايا والمشاكل التي اهتم بها الفكر الإنساني ومنها: علاقة الانسان بالوجود والعالم، الأخلاق، الحرية، كيفية تحقيق السعادة، لذلك قال هشام صالح: "إن موسوعة إخوان الصفا ساهمت في تقدم العلوم الطبيعية والكيميائية والرياضيات... إلخ". (صالح، 2007، صفحة 142).

لذا فإن الطابع الأكثر ظهوراً في رسائل إخوان الصفا هو الانفتاح إذا قلنا بأن التنوير من مظاهر الانفتاح، وهذا ما يؤكدته الجزء الرابع من رسائلهم والذي جاء فيه كالآتي: "ينبغي لإخواننا أيدهم الله تعالى ألا يعادوا علماً من العلوم أو يهجروا كتاباً من الكتب، وأن لا يتعصبوا على مذهب من المذاهب لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعاً، وذلك أنه هو النظر في جميع الموجودات بأسرها". (الصفا، 2017، صفحة 137).

فالانفتاح مظهر من مظاهر التنوير وذلك من حيث الاتساع واحتواء جميع الأفكار والمذاهب، وذلك يعود إلى حركة الترجمة التي كانت إبان العصر العباسي وما شملته من ترجمات واسعة في شتى مجالات الحياة كالعلوم والمنطق والفلسفة (مجدي، 2007، صفحة 37) وهذا الانفتاح إنما يرتبط بالدين الاسلامي أو يعرف بالانفتاح الديني إذ مبدأه الأول القرآن الكريم ثم السنة النبوية الشريفة لأجل دعم موافقتهم الاعتقادية والدفاع عنها. (الحواس، 2016، صفحة 283). وإما أنه يرتبط بالفكر والعلوم خاصة المنطق ومقولاته وأفكار الافلاطونية المحدثة ونظرية الفيض... كلها أفكار بينت عن وجود جانب تنويري في فكر إخوان الصفا، وأساس هذا الفكر الاعتماد على العقل كأساس للوصول إلى المعارف والحقيقة.

وعلى غرار إخوان الصفا نجد كذلك أن هاشم صالح أشار في العديد من كتاباته أيضا إلى الدور الأساسي والإستثنائي للعديد من الفلاسفة العرب والمسلمين، وخاصة الشاعر والمفكر والنحوي والأديب أبي العلاء المعري (1057/973م) الذي عده مفكر تنويري بامتياز وذلك من خلال فضحه للتدين السطحي الذي كان سائداً في عصره وفي عصرنا وهي المشكلة التي تقف حاجزاً أمام تقدمنا وحدثنا، وذلك عندما قال:

توهمت يا مغرور أنك دينٌ علي يمين الله ما لك دينٌ
تسيرُ إلى البيت الحرام تنسكاً و يشكوك جازٍ بائسٌ وخديئُ

فهذا يدل على أنه تم حمل الدين على قشوره ومظاهره التي لا معنى لها دون النظر إلى جوهره الروحاني، ومن هنا كان نقده الشديد والعنيف للشيوخ والدعاة المتاجرين بسم الدين، وهذا إسقاطاً ينطبق على معظم شيوخ الفضائيات في عصرنا الحالي. (صالح، 2018).

وعليه نلاحظ أن معركة التنوير العربي كانت موجودة سابقاً لكنها انتهت بهزيمة التنويرين لقوله: "فأبو العلاء المعري كان تنويرياً كبيراً وقل الأمر ذاته عن الجاحظ والكندي وابن سينا و الفارابي، وكل أقطاب العصر الذهبي، (صالح، 2014) بينما الانتصار كان من نصيب الأصوليين من أمثال: الغزالي، ابن القيم وابن الجوزي، وابن تيمية الذي كان ومازال قائدا لكل الحركات الأصولية ماضيا وحاضراً.

واستنادا إلى أن التنوير يقوم على العقل فإن لحضوره في فكر المعتزلة النصيب الأكبر، كون هذه الفرقة الكلامية ترفض الفكر الدغمائي المتحجر الجامد الذي يعتقد أنه يملك الحقيقة المطلقة، وتستند إلى العقل كأساس لتأويل النصوص القرآنية فتعتمد على تفسيرين أولهما تقليدي والآخر عقلاني، مثلاً في قوله تعالى: "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" (سورة الفتح - الآية 10-) فالمعنى الحرفي يبين لنا وجود يد أكبر من يد البشر، أما مجازياً فإن المعتزلة أولت ذلك بفعل الاستطاعة أي استطاعة الله فوق أيديهم. (صالح، 2007، صفحة 57). ضف إلى هذا التحليل الرائع التي قدمته المعتزلة لموضوع الحرية من خلال تفسير يتوافق مع الشرع ويستند إلى العقل لذلك يقول صالح فيما يخص المعتزلة "من هنا كانت حداثة المعتزلة وعقلانيتهم" (صالح، صفحة 59).

ولنفس الغرض اتخذ من قاضي قضاة قرطبة وفيلسوفها ابن رشد (1126/1198م) والذي لقب بالشارح الأكبر لمنطق أرسطو من العقلانية منهجاً للحقيقة خاصة عندما حاول تقديم جواب كان مثار الجدل لدى الكثير من فلاسفة عصره وحتى قبله وهي علاقة العقل بالنقل، وهذا ما طرحه في كتابه فصل المقال بصيغة سؤال أولى: هل أوجب الشرع الفلسفة؟ فحدد وجهة وغرض هذا السؤال بفحص وجهة نظر الشرع بإباحة الفلسفة وعلوم المنطق مع تقديم عدد من الآيات التي

حثت على النظر والتأمل وإعمال العقل، ثم يدرج تعريفه للفلسفة بقوله: "النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع وكلما كانت المعرفة بصنعها أتمّ كانت المعرفة بالصانع أتمّ" (ابن رشد، 1968، صفحة 27)، لكن النظر في الموجودات يحتاج إلى أدوات صالحة، فإذا تقرر أن الشرع أوجب النظر بالعقل في الموجودات، واستنباط المحصول من المعلوم واستخراجه منه فهذا هو القياس المسمى برهاناً. (ابن رشد، 1968، صفحة 28).

إذن عمل ابن رشد على تطبيق قراءة تاريخية وعقلانية على النصوص من أجل التوصل إلى معادلة جديدة للتوفيق بين الدين والفلسفة، وذلك وفقاً لإمكانات عصره المتاحة وخصوصاً منطق أرسطو وفلسفته، وبالقياس فإن إمكانات زمننا أكبر بكثير ونحن بحاجة إلى بلورة معادلة تكون أحدث نظراً لتغير المقتضيات وهي مصالحة التراث والحداثة. (صالح، 2007، صفحة 50).

فحسب هاشم صالح فالعرب لم يكونوا متخلفين عن الحضارة، وأن التنوير لم يكن مطلباً غائباً بل كان حاضراً وداخل الحضارة نفسها قديماً وحديثاً، غير أن تضايف العديد من العوامل ومنها السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية وحتى الفكرية أدى إلى تراجع وتخلف العرب والمسلمين، لكن الأمر لا يخلو من وجود الكثير والكثير من المشاريع التي أقل ما يقال عنها إنها مشاريع نهضوية تنويرية توعوية لكنها لم تلق النور على عكس العالم الأوروبي وهنا نتساءل: لماذا أجهضت مشاريع التنوير العربي وماهي أهم الأسباب التي أدت إلى فشلها؟

3- أسباب فشل مشروع التنوير العربي

الكثير من يتساءل حول النتيجة المرجوة من المشاريع الفكرية التي ضبحت بها ساحة الفكر العربي لذا كان شغل هاشم صالح هو البحث ومحاولة تقديم جواب عن سؤال: ما هي أهم أسباب فشل مشروع التنوير العربي؟

بين صالح بداية أن المجتمعات العربية والإسلامية هي مجتمعات متخلفة بعيدة عن الحضارة تعاني من تراكمات و انغلاقات متغلغلة في الفكر والفقه والدين والسياسة ومناهج التعليم، وهذا الحال أشبه بما عاشته أوروبا إبان العصور الوسطى من ظلامية وطائفية وانقسام واكتفاء عقلي، غير أنها رفضت هذه الحالة واستطاعت تجاوز الماضي بكل حيثياته إذ قدمت قراءة جديدة للتراث وأحدثت مصالحة بين الدين والعلم وفلسفة الأنوار، أما العالم العربي الإسلامي فلا يزال يعاني من الانسداد التاريخي، لأنه لم يستطع أن يصفى حساباته التاريخية مع التراث كما صفاها الأوروبيون مع تراثهم. (صالح، 2005، صفحة 44) الأمر الذي جعلنا ضمن طابع انغلاقية تمسكي برفض الانفتاح على الآخر لقوله: "فأما في العالم الإسلامي فإننا لم نخرج من الانحطاط (...) ولم ينتصر عندنا التنوير أيضاً" (صالح، 2013، صفحة 143).

وهذا الانسداد بحسب تحليلات وقراءاته إنما يعود سببه الرئيسي إلى التناقض المطلق بين النص والواقع، إذ يشرح وجهة نظره قائلاً: "أقصد بين النص والتطورات العلمية والسياسية والفلسفية التي جاءت بها الأزمنة الحديثة" (صالح، 2007، صفحة 19).

لذا وجب الاهتمام بهذا الموضوع حيث عملت عقول العالم العربي إلى البحث عن سبل للخروج من التخلف والتحرر من أفكار السحر والشعوذة والعادات والتقاليد، والخرافة والأساطير، وسيطرة الدين بناحيته السلبية دون الإيجابية، والذي لن يتم إلا عن طريق التخلص من الفهم التراثي للتراث، ومحاولة احداث قطيعة مع الجوانب الانغلاقية فيه والتعامل معه تعاملًا علميًا بحسب ما أورده الجابري في مشروعه نقد العقل العربي (الجابري، 1991، صفحة 45) لذا فإن موقفنا من العلم الحديث لن يقدم أي شيء للعرب والمسلمين بل على العكس فهو يساهم في استمرارية جمودنا و تخلفنا. (أركون، صفحة 299).

لذلك دعا أركون إلى ضرورة مواكبة العصر والاستفادة من مكاسبه وفتوحاته لأجل فتح باب الاجتهاد واقحام العرب ضمنيا ضمن فضاءات الحداثة، غير أن كل المشاريع والمحاولات التي قدمت إلى الساحة الفكرية العربية حكم عليها بالفشل والخذلان، لذلك يمكن استجلاء أهم أسباب الفشل والاختفاق بحسب هاشم صالح فيما يلي:

أولاً: "إن سياسة التحديث التي اتبعت من أيام محمد علي قبل مائتي سنة، ركزت على نقل التكنولوجيا لا الفلسفة العميقة التي تقف خلف هذه التكنولوجيا" (صالح، 2007، الصفحات 173-174).

ثم هاشم صالح الخطوة الجريئة والمهمة التي قام بها محمد علي باشا عندما أرسل بعثات علمية كانت هدفها هو نقل التكنولوجيا وكل التطورات التي شهدتها الغرب إلى العالم العربي، لكنه في نفس الوقت وفي ظل انبهارنا بهذه التكنولوجيا غضضنا الطرف عن المنحنى الفكري و الفلسفي الذي كان الأساس الذي انطلق منه الفكر الأوروبي الذي لم يصل إلى هذا التطور إلا عندما فند كل النظريات وأعاد الإصالح للمنظومة الفكرية، كما منح السيادة المطلقة للعقل وجعلت منه السيد في الحكم والتحكيم. (صالح، 2020).

وبموجب دعوى الهرطقة والفكر وعدم المساس بثوابت الأمة، لم يكن للفلسفة نصيب في فكرنا العربي، الأمر الذي خلق مأساة وأزمة لعقود من الزمن جعلت من فكرنا فكرًا اجتراريا لما سبقه خاصة بعد وفاة فيلسوف العقل ابن رشد، واستشهادًا لهذا يقول: "إن مأساة المسلمين هي أنهم تخلو عن العلم والفلسفة بعد الدخول في عصر الانحطاط أي بعد موت ابن رشد مباشرة عام 1198" (صالح، 2007، صفحة 147).

وهذا ما أدى إلى موت الفضول العلمي والفلسفي وخروج العرب والمسلمين من التاريخ كليًا، بينما اكتسحت أوروبا العالم خاصة بعد عمليات الترجمة والنقل التي أجرتها للكتب العربية والاغريقية.

ثانياً: "أما السبب الثاني لفشل التنوير في العالم العربي فيعود إلى: "الخوف من الفكر الراديكالي، أي الجذري العميق، لماذا هذا الخوف؟ لأن هذا الفكر يدعو إلى القطيعة مع الماضي أي الانفصال عن التراث المقدس" (صالح، 2007، صفحة 147).

فالأفكار القديمة التي تتمتع بجمية الماضي وسلطنته وسيطرته لاتزال هي الأفكار الشائعة والسائدة في مجتمعاتنا، فهذه الأصولية لها أعماق وجذور تاريخية تعود إلى مئات السنين وبالضبط إلى اللحظة التي دخلنا فيها عصر الانحطاط وتعطلت الجدلية الرائعة بين العقل والنقل أو بين الدين والفلسفة، وهذه اللحظة تعود إلى القرنين الحادي والثاني عشر (موت ابن رشد كما سبق الذكر) حيث ماتت الفلسفة وتشكل لاهوت ظلامي انحطاطي شكل بدوره فهم ضيق للدين معاد للعقل والانفتاح والتسامح. (صالح، 2007، صفحة 85).

وكمثال ندرجه حول هذه الجذرية والأصولية التي مازالت تسيطر علينا حتى الوقت الراهن هو الطريقة والكيفية التي يدرس بها الدين على اعتبار أنه الركيزة التي يقوم عليها المجتمع فانطلاقاً من المدرسة الابتدائية مروراً بالجامعة وقبلها المدارس الإعدادية والثانوية، فإن الدين مازال يدرس على طريقة التكايا والزوايا التي كانت إبان العصور الوسطى (صالح،

2007، صفحة 86)، أما التراث العقلاني القديم فيمنع تدريسه بحجة أنه خارج عن الدين مثل تراث المعتزلة، المعري، التوحيدي، الجاحظ ابن رشد... فما بالك بتدريس شيء ممنوع وكل هؤلاء ذو فكر ظلامي يتعارض والدين الإسلامي أما المقولات الموروثة والإجتزائية التي تركها ابن تيمية، حسن البنا سيد قطب... فهو ما يلزم تدريسه والعمل به لهذا: "الأصولية ليست العلاج أو الدواء و إنما هي أعراض المرض" (صالح، 2008، صفحة 198).

من هنا دعا هاشم صالح إلى وجوب النظر للفكر الراديكالي من زاوية أنه يعبر عن قلق عميق أو خوف عميق عند الاقتراب من الحقيقة، التي لن تتمكن من الوصول إليها إلا إذا تم إحداث قطيعة مع الماضي المتعصب المغلق على ذاته، والانفصال عن التراث الذي يحمل هالة التبجيل والتقديس، وذلك من أجل تحقيق المصالحة بين التراث والحداثة.

ثالثاً: "رد فعل العنيف لحركة الإخوان المسلمين على الحضارة الغربية منذ أواخر عشرينيات القرن الماضي، فقد ألفوا جبهة مترممة متراصة وقوية ضد الانفتاح الفكري للإمام محمد عبده، وعلي عبد الرزاق وطه حسين، و سائر مثقفي النهضة العربية" (صالح، 2007، صفحة 174).

لعب الغرب دوراً كبيراً وخطيراً في تراجع وانغلاق العالم العربي على ذاته، وذلك من خلال دعم أنظمة الاستبداد وخيانتها للمبادئ التنويرية الإنسانية (صالح، 2013، صفحة 86)، مما ولد رد فعل من طرف العالم الإسلامي عامة وحركة الإخوان خاصة حول العالم الغربي الذي اتهم بالفساد الأخلاقي والإباحية والتحلل من كل القيم التقليدية والإيمانية (صالح، 2007، صفحة 81) وهذا ما أدى بهذه الجماعة إلى رفض مبادئ وقيم الحضارة وعدم الانفتاح عليها، متخذين من الإسلام وحده

الحل لكل أمورهم الدينية والدنيوية، وتحت شعار "ممنوع المس بثوابت الأمة" (صالح، 2007، صفحة 104) استطاعت جماعة الإخوان المسلمين السيطرة على العقول، ما أدى إلى غلق كل المنافذ التي تحمل رياح الحضارة والحداثة، ففي كل مرة لن يكون الانتصار إلا لهذه الحركة السلفية الإخوانية التي احتلت الشارع والساحة الإيديولوجية لهذا يمكن القول إن مكانة الشيخ الجليل الذي يتحدث على شاشة التلفاز يهيمن على الجمهور المسلم ويعادل في تأثيره كل المثقفين العرب دفعة واحدة (صالح، 2007، صفحة 63).

فهذه الجماعة قد استغلت الدين بكل براعة ميكافيلية ولغايات شخصية وانتهازية لا تخفى على أحد فقد لجأت إلى القتل والفتك والهيمنة المطلقة للعقول، واتباع سياسة التخويف وعدم نقد الأفكار فأصبحت فئة سلطوية رجعية لا تأخذ من الدين إلا قشوره وأكراهاته وتعصبه وانغلاقيته، وفي نفس الوقت يطرحون منه جوهره الروحاني والأخلاقي، فيأخذون بعض المسائل البسيطة مثل أمور الزواج، تحريم أكل لحم الخنزير، شرب الخمر، أما جوهر الإسلام القائم على حرية التفكير والتسامح والإخاء والعدل مع كل الناس على اختلاف مذاهبهم وأديانهم. لقوله ص: "فالمشكلة تكمن في الفهم الاكراهي القديم للدين، وليس الفهم المتسامح الحديث" (صالح، 2013، صفحة 111).

إذن إن فشل هذه المشاريع يعود إلى مجموعة من العوامل والاسباب التي حالت ونجاحها سواء كانت داخلية مثل ضعف التعليم والتشبث بالتراث وعدم المساس به ، كما تعد سيطرة الأصولية أهم عائق وحاجز رادع للتقدم، إضافة إلى عوامل خارجية تمثلت في القمع السياسي، نكبة فلسطين، غياب الحريات

4- مآلات التنوير عند هاشم صالح :

أح محمد أركون من خلال مشروعه "نقد العقل الاسلامي" إلى ضرورة دمج الفكر العربي الإسلامي ضمن فضاءات الحداثة، كونها كفيلة بخلق عصر أنوار عربي، يمكن أن يكون بمثابة نقلة نوعية من شأنها أن تمهد لمنجزات حضارية، وذلك بقوله: "إن المسلمين بحاجة إلى فتح النوافذ والأبواب لكي يشموا هواء جديد. فلا يظلون منغلقيين داخل جدران بيتهم، باختصار فإننا بحاجة إلى الاطلاع على الدراسات الحديثة" (أركون، صفحة 299).

وفي اطار الدفاع عن الانفتاح والتطوير سار هاشم صالح على منحنى أستاذة أركون بدعوته الصريحة إلى وجوب الاقتباس والأخذ من الحضارة الغربية لتحقيق التنوير، الذي أصبح مطلب تمليه علينا الوقائع والمعطيات العينية التي يفرضها مجتمعنا والحلول والاستراتيجيات التي يجب العمل عليها، وذلك عن طريق حركات تنويرية واسعة تشمل العالم العربي كله من أقصاه إلى أقصاه لأن: "التنوير ظاهرة كوينة تخص البشر كلهم" (صالح، 2007، صفحة 169).

ولعل أهم شيء عمد إليه هاشم صالح في البداية وتقريباً في جل كتاباته هو عقد مقارنة بين المجتمع العربي الإسلامي والمجتمع الغربي مبيناً انفتاحهم ورفقيهم وتحضرهم في ظل قيم الحرية والديمقراطية والمواطنة... وفي المقابل نجد الشرق المتعصب والمتخلف الذي يماثل إلى حد كبير واقع أوروبا في العصور الوسطى و خصوصاً القرن السادس عشر. لأن هذا العالم حسبه لم يخرج من عصر الانحطاط ولم ينتصر التنوير عنده أيضاً. (صالح، 2013، صفحة 143).

أما قيم التنوير فلا يمكن استردادها جملة من التجربة الأوروبية و ذلك نظراً لوجود اختلافات بين المجتمعين، و بالتالي لا يمكن تطبيقها جملة وتفصيلاً على المجتمع العربي، وعليه ينبغي أن نعاني التنوير الداخل (صالح، 2007، صفحة 253) أي أن بوادر وبذور التنوير لابد أن تكون داخل تراثنا و من قناعاتنا الداخلية.

إذن نقطة الانطلاق نحو التجديد والدخول في عصر الأنوار تكون من التراث ذاته ومحاوله تجاوزه ومعالجته من الداخل لا من الخارج في مجابته حرفياً ونصاً وفاصلة ونقطة لأجل تفكيك هذا الفكر وخلع المشروعية المبجلة الإلاهية (صالح، 2013، الصفحات 96-97). لأجل رفع حالة التبجيل و التقديس عن ثوابت هذه الأمة حذواً بأوروبا قصد كشف الحقيقة والانطلاق نحو الحضارة الأمر الذي من شأنه أن يحدث مصالحة بين الدين والعقل وبين التراث والحداثة (صالح، 2007، صفحة 106). كون هذه المصالحة كفيلة بخلع طابع القداسة والمعصومية و حتى الرهبة والإرهابية عن النص التراثي و خاصة الإسلام والتقييد برسائله القائمة على التسامح والسلام والتعددية والفكر... لذا فإن صالح يبين ويتأكد أنه لا مهرب من ضرورة الغوص داخل النصوص التراثية ودراستها ونقدها وتمحيصها وإعادة قراءتها وعدم الاكتفاء بالظاهر فقط، إذا ما تعلق الموضوع بنصوص الدينية التي تلتزم نوعين من القراءة:

- قراءة متممة تأخذ النص بحرفيته: دون النظر إليه من ناحيته التاريخية أو كيف نفهمه ونمارسه ؟ وهذه القراءة هي ما تركز عليه الحركات الأصولية لتبرير الكثير من نظرياتها ومواقفها (صالح، 2007، صفحة 146). فهذه القراءة من شأنها أن تشكل فهماً ضيقاً للدين معادياً للعقل والانفتاح والتسامح لأقصى الحدود، وهذا ما أدى إلى تشكيل لاهوت انخطاطي ظلامي.

- قراءة منفتحة: هدفها هو توليد قراءة جديدة لنصوص التراث تختلف عن القراءة القديمة التي لاتزال تسيطر علينا حتى الآن، فهي تعني قراءة تاريخية تختلف عن القراءة التبجيلية واللاتاريخية المسيطرة على الأذهان (صالح، 2008، صفحة 191). حيث يستعان في هذه القراءة بكبار المفسرين الكلاسيكيين الأكثر عقلانية كما يستعان كذلك بالعقلية الحديثة التي تعرف كيفية التمييز بين الأشياء (صالح، 2007، صفحة 146). ومثال ذلك قوله تعالى: "

يد الله فوق أيديهم" (سورة الفتح) - ورد شرحها فيما سبق- وعليه لزم خضوع النص إلى النقد التاريخي الذي تجاوز هذه التفاسير وأعطى معنى ودلالات جديدة للنص تختلف عن ظاهرها.

فالانفراج وتحديث المجتمع يكمن في تخليصنا عن التفسير الحرفي للنصوص الدينية وتبنيها تأويلاً آخر لرسالة الإسلام والقرآن (صالح، 2013، صفحة 86) هذا الأخير الذي قال عنه في مقاله معركة التنوير العربي "القرآن الكريم أول نص تنويري في تاريخنا، وقد أضاء بإشراق واحدة سماء الحجاز فالجزيرة العربية فالعالم" (صالح، 2014).

وبهذا حاول صالح قراءة هذا التراث الإسلامي سواء القرآن أو السنة أو الموروث قراءة علمية تأخذ بعين الاعتبار المنهجيات الحديثة التي تمكننا من دراسة ونقد وتمحيص النصوص التراثية وحسبه هنالك منهجين أساسيين بعد النقد التاريخي وجب العمل بهما، وهما منهجية التفكيك والحفر الأركيولوجي.

فالتفكيك لا يعني الهدم بل يعني العودة إلى العناصر الأولية وتغيير المفاهيم بحسب الزمن مثل: (تعريف العقل حديثاً يختلف عن تعريفه قروسطياً) (صالح، 2008، صفحة 202)، وعليه فالمفاهيم ليست بالشيء الثابت والأزلي والسرمدى بل هي متغيرة بحسب مكانها وزمانها، أما المنهجية الأركيولوجية أو الحفر الأركيولوجي فهي مقترنة بطريقة مشيل فوكو أو منهجية التحليل النفسي عند سيجموند فرويد (1939/1856) Sigmund Freud ، إذ أن هذا الحفر الأركيولوجي يوصلنا إلى اللحظة الأولية للخطاب أو اللحظة التأسيسية لعمر الإسلام من خلال النباش والحفر في أعماق التراث و صولا إلى اللحظة التأسيسية قصد التحرر من الصورة اللاهوتية التبجيلية وتقديم صورة واقعية تاريخية (صالح، 2007، صفحة 254)، ويقول محمد أركون في نفس السياق ما نصه: "... إعادة القراءة لتاريخ الإسلام والتراث العربي، اعتماداً على أصولية ومناهج حديثة تمكن من إلقاء ضوء جديد على التراث، وإبداع مواقف فكرية أكثر ارتباطاً والتزاماً بالفكر العلمي المعاصر" (مسرحي، 2006، صفحة 109).

وعليه إن تطبيق مثل هذه المنهجيات على التراث من شأنه أن يمنحنا مفاهيم وتصورات وأفكار منفصلة عن اللحظات القروسطية التي هيمنت على عقول العامة، وتقديم طرح جديد ونظام فكري جديد للخروج من الانغلاقية والتزمت و التعصب و ذلك بأخذ روح التراث الحية وتوليد الجديد من رحم القديم، والولوج إلى نظام الحداثة.

ولمواجهة تحديات الواقع وعلى غرار تبني المنهجيات الحداثية ألح هاشم صالح إلى ضرورة بعث النصوص الكبرى للتنوير العربي الإسلامي الكلاسيكي أو ما يدعى بالعصر الذهبي، وضرورة إعادة نشر نصوص الكندي والجاحظ والتوحيدي والمعتزلة والمعري وابن رشد وابن باجة وعشرات غيرهم، إذ ينبغي تبسيط نصوصهم وترجمتها إلى لغة بسيطة يدركها الطالب والقارئ، ليدرك أن علماءنا كانوا تنويرين وعقلانيين، وما كتاباتهم ومؤلفاتهم إلا إثبات على هذه العقلانية (صالح، 2013،

صفحة 100). إضافة إلى ترجمة النصوص الكبرى لفلاسفة التنوير الأوروبي مثل: بيكون، ديكارت، سبينوزا، كانط، هيجل... نظراً لما تحمله أفكارهم من انفتاح وتحضر وفكر... خاصة وأن التنوير العربي اضمحل وتوقف منذ إغلاق باب الاجتهاد والدخول في عصر الانحطاط غير أننا ومع مرور الزمن نلمس بعض بوادر التنوير في العالم العربي والتي جسدها كبار فلاسفة وأدباء عصر النهضة أو النهضةيين و ذلك إبان القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين مثل محمد عبده، الكواكبي، محمد اقبال ... (صالح، 2008، صفحة 302).

ومن خلال هذا الطرح نجد أن هاشم صالح حاول الولوج إلى أهم الأسباب التي حالت والتنوير العربي من خلال كشفه عن مواطن الخلل التي تحد من المعقولية العربية، وتمنع من تأسيس خطاب عقلاني منفتح وذلك لأنه انكفأ على الذات الماضية من جهة وانغمس في التقليد من جهة أخرى، فلم ينتصر التنوير عندنا والمقصود المجتمعات العربية فبقيت اليقينييات المطلقة هي السائدة مما فاقم الأزمة، لكن المحاولات التي قدمها مفكروننا ومنذ عصر النهضة إلى يومنا هذا تبقى المآل الذي نريد ونسعى دائماً للوصول إليه.

خاتمة :

إن مشروع التنوير العربي الذي عمل عليه هاشم صالح وقبله وبعده كل مفكري العصر الحديث، هو محاولة جادة وراقية لم تخرج عن الهدف العام الذي سعى وأراد جل هؤلاء المفكرين الوصول إليه وتحقيقه وهو إيجاد مخرج أو حلول واستراتيجيات من شأنها إنقاذ الفكر العربي الإسلامي من براثن التخلف والرجعية والإنغلاقية إضافة إلى نبذهم الأفكار الاصولية والتزمت والتطرف الذي حجر الفكر وجعله حبيس نمط لا يمكن الخروج منه.

وذلك لن يتم حسبنا إلا عن طريق اصلاح الفكر الديني والاجتماعي من خلال تبني العقلانية العلمية والمنهج النقدي والعمل على اعادة قراءة وتأويل النصوص الدينية والتراثية واعطائها ابعاد معرفية تختلف والطرح الكلاسيكي القديم. خاصة ما تعلق بالفقه الاسلامي مسألة القرآن والتراث ... ما يوجب علينا الاستفادة من تجارب التنوير الغربية ونقلها الى العالم العربي لكن مع احترام خصوصية المجتمع العربي الاسلامي. ضف الى هذا فهو لا يستثني الدور الكبير والفعال الذي قدمته فلاسفة الاسلام التنويريين الذين علينا فعلا تفسير وتقديم نصوصهم التنويرية الكلاسيكية والمعاصرة للأجيال الجديدة، لمعرفة مكامن التخلف واسباب الرجعية والعمل على ايجاد حلول لها.

بهذا شكل مشروع التنوير عند هاشم صالح دراسة معمقة تعتمد على تحليل وكشف المرض العضال الذي ينخر داخل تراثنا العربي الإسلامي محاولا تقديم طرح واستراتيجيات تتوافق ومجتمعنا وتفكيرنا. لأجل فتح أفق أوسع نحو التحديث والتقدم ونبد التخلف وفتح الانسداد، غير أن الواقع بين وجود تعارض شديد بين النظري التحليلي والتطبيق الواقعي، وذلك

نظرًا لوجود أسباب وعوامل حالت ونجاح التنوير إلا أنه يبقى مطمح ومطلب لكل من أراد تقديم أسس جديدة لنقد التراث وإعادة قراءته والنهل منه للاستنهاض بالفكر العربي الإسلامي.

قائمة المراجع:

- 1- ابن رشد. (1968). فصل المقال و تقرير ما بين الحكمة و الشريعة من الاتصال. بيروت، دار المشرق.
- 2- إخوان الصفا. (2017). رسائل إخوان الصفا. المملكة المتحدة، المملكة المتحدة : مؤسسة هندأوي سي آي سي..
- 4- أندريه لالاند. (2001). موسوعة لالاند الفلسفية (الإصدار 2، المجلد 1). بيروت، باريس: منشورات عويدات.
- 5- الجابري محمد عابد . (1991). التراث و الحداثة * دراسات ومناقشات * (الإصدار 1). بيروت، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية.
- 6- إيمانويل كانط. (2005). ما الانوار؟ (الإصدار 1). (محمود بن جماعة، المترجمون) صفاقس، تونس: دار محمد علي للنشر.
- 7- الحفني عبد المنعم . (بلا تاريخ). الموسوعة الفلسفية. بيروت، بيروت: دار ابن زيدون.
- 8- الحواس, ف. (2016). طريق إخوان الصفا (3 éd.). دمشق, دمشق: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
- 9 - عبد الحافظ مجدي. (2007). فكرة التطور عند فلاسفة الإسلام. (هدى كشرود، المترجمون) الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 10- محمد أركون. (بلا تاريخ). قضايا في نقد العقل الديني * كيف نفهم الاسلام اليوم-. (هاشم صالح، المترجمون) بيروت: دار الطليعة.
- 12- مسرحي فارح . (2006). الحداثة في فكر محمد أركون (الإصدار 1). الجزائر، الجزائر: منشورات الاختلاف.
- 13- مراد وهبة. (2007). المعجم الفلسفي (الإصدار 5). القاهرة، القاهرة: دار قباء الحديثة.
- 14- ميشيل فوكو. (بلا تاريخ). ما التنوير؟.
- 15- هاشم صالح, (2014, 11 28). معركة التنوير العربي. Consulté le 3 4, 2021, sur <https://aawsat.com/home/article/60951>
- 16- هاشم صالح, . (2018, 4 15). ينبغي تطوير الفقه الإسلامي وإحداث قطيعة مع الجوانب الإنغلاقية فيه. Consulté le 6 14, 2022, sur <https://www.almesbar.net>
- 17- هاشم صالح. (19 1, 2020). الملاحق الثقافية والتنوير العربي. تاريخ الاسترداد 3 4, 2021, من الشرق الأوسط : [/https://aawsat.com/home/article/2089001](https://aawsat.com/home/article/2089001)

- 18- هاشم صالح. (2005). مدخل الى التنوير الأوروبي (الإصدار 1). بيروت، لبنان : دار الطليعة.
- 19- هاشم صالح. (2006). معضلة الأصولية الإسلامية (الإصدار 1). بيروت، لبنان : دار الطليعة.
- 20- هاشم صالح. (2007). الانسداد التاريخي لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي؟ (الإصدار 1). بيروت- لبنان، لبنان: دار الساقى.
- 21- هاشم صالح. (2008). مخاضات الحداثة التنويرية -القطيعة الإستمولوحية في الفكر والحياة. (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- 22- هاشم صالح. (2013). الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة التاريخ (الإصدار 1). بيروت، لبنان : دار الساقى.
- 23- هاشم صالح. (2014, 4 25). بين الأنوار و الظلمات . تاريخ الاسترداد 28 3, 2020، من الشرق الأوسط:

<https://aawsat.com/home/article/84061>